م 3

عصر الدولة الوطاسية ـ الحضاري ج1

❖ **نظم الدولـــــة:**

- أفادنا حسن الوزان عن نظم الدولة الوطاسية؛ فذكر أنه كان يعاون السلطان في إدارة الدولة مستشارا رئيسا يعينه وسط أكابر رجالها، وكان يخصص له ثلث دخل الدولة. ويعين معه آخر يتولى رفقة الملك والكتابة الخاصة له وإدارة خزينة السلطان.
- ويعين أيضا ضباط حرسه الخاص المؤلف من كتيبة الفرسان. ويعين أيضا قضاة الدولة وجباتها.
- ويعين للقصر قيّما على نفقاته، وهو الذي يشرف على تزويد الجيش بالمؤونة.
- ويتولى تنفيذ أوامر السلطان قائد الحرس الخاص، والذي من مهامه أيضا الإشراف على موظفي الدولة المكلفين بأحكام القضاء والشرطة المكلفة بتطبيق العقوبات.
- وكان أغلب خدمة القصر من السودان، وبينهن مسيحيات من الإسبان والبرتغال.
- وللقصر **حاجبه**، الذي يصحب السلطان في كل تحركاته، ويدخل الناس عليه، ويرشدهم إلى مجالسهم، ويضبط ترتيبهم في الكلام. وكان يتولى الإشراف على الحفلات **المزوار**.
- وكان السلطان إذا تحرك خارج المدينة نصب له **مشور** من ثوب سميك مربع الشكل.
- وكانوا معترفون بالسيادة العثمانية الرمزية، ينقشون اسم الخليفة على السكة، ولذا ألغوا لقب أمير المؤمنين واكتفوا بلقب **السلطان**.
- وكانت **ولاية العهد** تسري بتعيين السلطان من يخلفه من أبنائه أو إخوته؛ وقد يتعرض السلطان للخلع.

❖ **هياكل الدولـــــة:**

- لم يكن نظام الوزارة مختلفا عن المرينيين، غير أنهم استوزروا أقربائهم، وكانت مهامهم موزعة بين الإدارة وقيادة الجيش.
- تغير نظام القضاء اقتباسا من النظم العثمانية؛ فأصبحت سلطة القاضي منحصرة في الشؤون الدينية، وأحيلت القضايا المدنية والجنائية على الولاة.
- كان القاضي الشرعي يعضده **قاضي التوثيق** المكلف بشؤون الزواج والطلاق والتحقيق في الشهادات.
- وكان **المفتي** بمثابة قاضي الاستئناف، المرجوع إليه في المشورة في المسائل القانونية أو في إعادة النظر في حكم قضائي.
- وكان للقاضي **نواب** في المدن الكبرى؛ ومن أشهر قضاتهم عبد الواحد الونشريسي.
- وانحط نظام **الحسبة** في هذا العهد، وأوكلت للأميين، وصارت موضع مساومة عليها.
- وكانت **الأقاليم** سبعا: تامسنا، فاس،أزغار، الهبط، الريف، الحوز، الأجزاء الشرقية العليا.
- وكانت اختصاصات **العمال** تشمل الإدارة والعسكرية والقضاء المدني والجباية، ويؤدي له التجار والصناع ضريبة عن كل سجين معتقل. ويشرف على صاحب **الشرطة**.
- وظهر لقب **القائد** الممنوح لبعض الولاة، وهو اقتباس عثماني، ولم يعرف لقب الباشا إلا في العهد السعدي.
- أما **الجيش**؛ فكان قادته يدعون بقواد الرحى، كان يقطعهم السلطان حصنا أو قريتين يكون خراجهما موردا لهم، وللجنود الذين جندوهم.
- وكان الأسرى المسيحيون يقودون الجمال الحاملة للمؤن والذخيرة.
- ويتألف الجيش النظامي من ستة آلاف فارس من المرتزقة، بالإضافة إلى خمسمائة بندقي، وخمسمائة قواس، وغير المحاربين المشتغلين في لوازم الجيش. وله فرقة من الطبالة حاملين طبولا عظيمة الحجم من النحاس على جيادهم. وفي هذا العهد بدأ استعمال المدافع والبنادق.
- أما **مالية** الدولة؛ فكان القيم عليها جباة الدولة، الذين يستخلصون الضرائب ووضع حساباتها للسلطان.

- وكان بالقصر خمسون فارسا مهمتهم الإخبار بالضرائب المقررة. أما **مكوس** الأبواب فتولاها شخص يشتري حق استخلاص المكس من السلطان في مكان معين، مقابل مال معلوم.
- وكان **متولي الجباية** بفاس هو المحتسب، عليه أن يؤدي ثلاثين دينارا يوميا للخزينة، ويقيم على أبواب المدينة من يتولون جباية الداخل من البضائع.
- وكانت المواد الرئيسة كالقمح والحطب والدجاج والبقر معفاة من الضرائب، بينما يؤدى عن الكباش المذبوحة بالمجزرة مال معلوم، وكذا عن الثياب المستوردة.

❖ **المجتـــمع:**

- كان **المجتمع** المغربي خليطا بين بربر وعرب وتجمعات أندلسية طارئة.
- وامتاز عرب الصحراء بصحبة نسائهم في حروبهم، وبقرض الشعر في مختلف أغراضه. وكان أكثر بدوهم يعيشون في المناطق الشرقية أو الغربية للمغرب.
- وقد تعرضت **مدن الغرب** والحوز وتادلا للتدمير. وعرفت تامسنا منذ العهد المريني نزولا لقبائل زناتة وهوارة، حتى ازداد عددهم في عهد الوطاسيين.
- ونزل عدد كبير من **مهاجرة الأندلس** مدن فاس وتطوان وسلا والرباط؛ وقد حظي الشرفاء منهم بمكانة عظيمة لدى محمد الشيخ الذي آواهم بفاس.
- وكان **لليهود** عدد أيضا في فاس حيث قدرهم بعضهم في هذه الفترة بنحو أربعة آلاف.
- وأما **مراكش** فقد تناقص عمرانها الثلثين وأقفرت مدينة **الرباط** المزدهرة في عهد المنصور، وأصبح لا يتجاوز عدد مساكنها الأربعمائة.
- وفقدت **فاس** الكثير من نشاطها القديم، فقد تناقصت المارستانات، وضعفت حال فنادقها.
- واختلفت **أعمار** الناس فإذ لم يزد أعمار أهل الحضر عن الخامسة والستين أو السبعين، كانت أعمار أهل الجبال تزيد على الثمانين.
- أما عن **اللباس**؛ فذكر عن نساء **حاحا** أنهن كن في أغلبهن سافرات الوجوه، وكان العزاب يحلقون لحاهم ثم يرسلونها إذا تزوجوا.
- وكان أهلها **يلبسون** الصوف يلفون به أجسامهم، ويتعممون به، ولم يعرفوا نسج الكتان.
- ويبق حال **المرأة** مجهولا، غير أنه ذكر لهن دورا سياسيا بفاس، **كزهور الوطاسية**.
- أما **أعيادهم**؛ ففضلا على الأعياد الإسلامية كان أهل فاس يحتفلون بمولد المسيح، ويطبخون ليلته طعاما خاصا. ويحتفل الأطفال باليوم الأول من السنة.
- ويقيمون حفلة السنية عند بروز الأسنان الأولى للطفل، واعتبرها الوزان من العوائد المسيحية القديمة.
- وكانت جزولة تقيم موسما بمناسبة **المولد النبوي** يدوم شهرين، يقدم فيه الطعام للغرباء.
- وكان طلبة المدارس بفاس يحتفلون كل سنة احتفالا خاصا بهم، يدعون أصدقاءهم ويخرجون إلى ظاهر المدينة مصحوبين بالموسيقيين.
- وكان **الاحتفال بالزواج** في فاس يتم بأن يصحب والد الزوج عدلين وعددا من أصدقائه إلى المسجد، ويحضر الخطيبان ويتم كتابة العقد أمامهما، وإذا كان الزوج ضعيف الحال يقدم كصداق نحو ثلاثين دينارا معجلة واشياءأخرى كثيرة.
- ولهم في تشييع الزوجة إلى منزلها الجديد عادات خاصة. ويقام بمناسبة العرس ثلاث ولائم.
- وأما والد العروس فيقيم مأدبتين إحداهما ليلة يوم زفافها واليوم التالي تقدم المأدبة الثانية.
- أما **الإعذار** فيحضر فيها حلاق، ويحضر أصدقاء الأب الذي يقيم مادبة بعد أن يقدم كل منهم هدية إلى الحلاق، وهي نحو دينار أو أكثر.
- أما **الشعر والغناء**؛ فنما في هذا العهد **الزجل** الذي أصبح يسمى بالملحون و "الكلام"، ولغته في العموم راقية مزيج من الفصحى والعامية. وكان أكثر شعرائه من أهل تافيلالت.
- وكان مجال الرقص والموسيقى في الحفلات أوسع وأنشط مما هو الآن، وكان دور المغنين والراقصين أبرز من دور آلات الطرب التي كانت بسيطة لا تعدو نايات وطبولا أو دفوفا.